

والقادية وجبي خراج سواد العراق وبابعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي واسط وبابعه اهل الموصل وطلبوا منه التوجه اليها . واستغرقت عملية اخضاع مروان ابن محمد وقائده يزيد بن عمر فترة طويلة حتى سنة ١٢٩ هـ ، وهي الفترة التي كان فيها مروان بن محمد منشغلا في كبح عدة تمردات عائلية في بلاد الشام .

ان تحركات الخوارج هذه قد اشغلت الخلفاء الأمويين المتأخرين عن تعقيب نشاطات الدعوة العباسية إذ ان ارسال الجيوش تتبع الجيوش لمحاربة الخوارج قد ساعد على اضعاف الدولة عسكريا ووقفوا نشاطها الى حد كبير داخليا واثارها لجيوش الاعداء ان تهدد العالم الاسلامي وان تزحف على اطرافه خارجيا كما شغلوا الدولة في فترات حاسمة من تاريخها اضعف الى ذلك انهم ساعدوا على تأليب الناس ضد الامويين ومهدوا بافكارهم لاثارة الموالي ولجعل الجماهير اكثر استعدادا لقبول الدعوة العباسية .

٣- الدعوة العباسية

والواقع ان الظروف السياسية السابقة والحركات المعارضة التي واجهها الخلفاء الامويين المتأخرون سواء تلك التي كانت نتيجة من نتائج ولاية العهد ام تلك التي فرضتها القوى المعارضة للحكم الاموي كانت هي الضربات المتلاحقة الموجهة التي ارهقت هؤلاء الخلفاء واتعبت جيوشهم وفتت وحدة البيت الاموي ومؤيديهم والرجال الذين كانوا يتبعونهم وان تلك الظروف قد هياجت فراغا سياسيا بعد ان تقابل ابناء البيت الاموي فيما بينهم وانقسم مؤيديهم الى اقسام وشعب بين مؤيد ومعارض وبين مناصر ومطالب بالتأثر من قتله هذا الخليفة او ذلك . ولذلك فان نجاح الدعوة العباسية وتزعّمها الحركات المناهضة والتفاف المعارضين للبيت الاموي او الحاقدين عليه جاء كضربة اخيرة حاسمة انتهت حكم هذه الاسرة العربية .

يرجع نشاط الدعوة ونجاحها الى علي بن عبد الله بن عباس الذي نادى بحق العباسيين بالخلافة والذي تزعم الدعوة السرية لتحقيق هذا الهدف ، ويبدو ان الخلفاء الامويين المتأخرين كانوا مرتابين من نشاطاته وموافقة^(١)، كانت الشخصية المركزية التي انتفع من موقعها العباسيون او لنقل محمد بن علي العباسي هي عبد الله بن محمد بن الحنفية المعروف باسم ابي هاشم الذي مات سواء في السم ام بشكل طبيعي (في الحميمة لكنه قيل ان يموت اختار محمد بن علي للخلافة في الدعوة ضد الامويين واوصاه بوصيه مهمة شرح فيها له اسرار الدعوة واسماء الدعوة ومحلاتهم واسماء الاحياء العربية التي تساند الدعوة واسماء القبائل العربية المؤيدة وقيل ان الصحيفة الصفراء التي اوكلها لمحمد بن علي تحتوي على الوقت

(١) فوزي : فاروق عمر : العباسيون الاوائل ج ١ ص ٣٩-٤٠ .

المناسب لإعلان الثورة^(١) فانتقلت بذلك الإمامة من أبي هاشم بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس .

وكان محمد بن علي شخصية ذكية وجريئة إذ أنه بعد حصوله على هذا المكعب الديني السياسي سارع في تنظيم الدعوة مركزاً على الدعاية وجعل جميع هذه الأساليب سرية جداً ، ثم من موقعه في الحميمة وزع تعليمات الدعوة سرية إلى جميع الدعاة والنفباء والعمال في كل الأماكن التي كان له فيها دعاة .

ابتدأت هذه الأنشطة في سنة ١٠٠هـ / ٧١٨ م وفي وقت قصير استطاع محمد بن علي ودعاة على كسب الكثير من المؤيدين لاسيما في الأجزاء الشرقية وبالأخص في خراسان حيث كانت تبعد جغرافياً عن مركز الخلافة الأموية والتي كانت موطن المعارضين والمتذمرين سواء كانوا من بعض القبائل العربية لاسيما القبائل اليمنية التي امتعضت من سياسة مروان وغيره من الخلفاء الأمويين المتأخرين الذين مالوا إلى القيسية دون اليمانية علاوة على ذلك فإن خراسان كانت موطن المسلمين من غير العرب الذين أسلموا لا لشيء لا للطعن بالعرب وحضارتهم ، أولئك الشعوبية ، فكانوا يحقدون على الحكم العربي الأموي وقد استثمر الدعاة العباسيين نفوس هؤلاء الموالين فرفعوا شعار المساواة باعتبار أن الأمويين - حسب تفسيرهم - كانوا مناصرين للعرب دون سواهم من المسلمين غير العرب ، خاصة وأن بعض الولاة الأمويين قد اتبعوا سياسة غير منصفة في خراسان أدى إلى حدوث وضع غير مستقر تسوده الاضطرابات في هذه المنطقة .

نشط الدعاة العباسيون في نشر دعوتهم وهم يتجولون سرية في كور خراسان ومدنها ورسائيقها بزّي التجار أو غير ذلك لكي يفلتوا من أعين جواسيس الأمويين وظلوا يبشرون بالدعوة حوالي عامين بعدها رحلوا إلى الحميمة ليقدّموا تقاريرهم التي توضح نتائج نشاطاتهم خاصة في خراسان حيث غرسوا فيها غرساً يطعموا أن يثمر في وقته . فكان هؤلاء الدعاة على اتصال مستمر ودائم بزعميم الحركة في الحميمة محمد بن علي الذي كان على اطلاع دقيق بنشاطات الدعاة وبالظروف السائدة في خراسان من جهة وأوضاع الأمويين في بلاد الشام من جهة أخرى . وفي ولاية سعيد بن عمرو الحرشي اتسع مدى نشاط الدعاة وامتد إلى بلاد السند حيث أثروا على واليها من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك الجنيد بن عبد الرحمن^(٢)

(١) حول نشاط الدعوة : انظر فوزي ، المرجع نفسه ، ص ١٣٩ - ١٤٠ - الديزي : الاخبار الملوك ص ٣٢٢ .

(٢) مؤلف مجهول : اخبار العباس وولده ص ٢٠١ - فوزي ، فاروق عمر : طبعة الدعوة العباسية ص ١٥٥ .

وعلى اثر موت محمد بن علي العباسي خلفه ابناؤه ابراهيم وابو العباس والمنصور ليكمل المسيرة التي بدأ بها محمد بن علي ، فحمل ابراهيم لواء الدعوة العباسية وتوسع في ارسال الدعاة الى خراسان والاطراف الاخرى من العالم الاسلامي .

لقد وافق تولي ابراهيم بن محمد زعامة الدعوة بداية فترة الانتحلال الذي عانى منه البيت الاموي الحاكم على اثر وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك ، وهو بحد ذاته يعد مرحلة جديدة في حياة نشاط الدعاة .

كان من اولي نتائج هذه الاوضاع خروج بعض انصار الدعوة العباسية في مرور مستغلين ظروف الضعف السياسي للامويين لكن ابراهيم لم يوافق على هذا العمل الذي لم يعجبه توقيتته قبعث في سنة ١٢٦هـ / ٧٤٤م مبعوثا سريرا ينصح الثوار في مرو الى التراجع ويثنيهم عن الحركة والعودة الى الطاعة والانضباط ، وكان ابو مسلم الخراساني برفقة المبعوث الذي كان ابو سلمه الخلال وفي سنة ١٢٨هـ اضطر ابراهيم الامام ان يبعث بمبعوث اخر الى مرو وهو ابو مسلم ليتولى الاشراف على شؤون الثورة ويقيم في مرو وفي مرو كان يقيم رجال عرب قادرين على قيادة الثورة من امثال سليمان بن كثير الخزاعي وقحطبة بن شبيب (لكن ابو مسلم لما يحمله من مخططات توسعية وروح انانية استغل الفرصة في اثاره الشقاق بين هذين الزعيمين العربيين وحالة الصراع السائدة بين هذين الزعيمين السانده بين صفوف العرب في مرو ليصبح هو المنفذ .وبالفعل فقد ظل منذ سنة ١٢٦هـ حتى سنة ١٣٢هـ / ٧٤٤-٧٤٩م مشرفاً ومسؤولاً عن الدعوة العباسية وتهيئة امكانات نجاحها .فاعلان الثورة ورفع الرايات السود علانيه في شهر شوال من عام ١٢٩/٧٤٧م وخلال يومين فقط منذ اعلانه الثورة حصلت على تاييد واسع بين قرى مدينة مرو ، وتزايد جمعه حتى بلغ خلال شهر واحد حوالي سبعة الف رجل^(١) .

استمر ابو مسلم والزعماء الاخرين على تحشيد الجند والمؤيدين في حين عين ابراهيم الامام قحطبه بن شبيب الطائي قائدا للجيش العباسي الزاحف نحو نصر بن سيار حينذ فقط تئبه الخليفة الاموي الى خطورة الوضع فارسل جيشا للقضاء على الثورة من عشرة الاف، لكن الجيش اخفق في معركة قرب مدينه جرجان في ذي الحجة سنة ١٣٠هـ / ٧٤٨م .وفي سنة ١٣١هـ التقى الجيش العباسي بجيش اموي اخر اكثر عددا قرب اصفهان لكن قحطبه هزمه . وزحف العباسيون الى نهاوند ودخلوا المدينه بعد فتره قصيره من الحصار . وبذلك صار الطريق مفتوحا نحو العراق فتوجه قحطبه نحو الكوفة بسرعه واشتبك مع جيش يزيد بن هبيرة والي العراق فكانة النتيجة الى جانب قحطبه ايضا في موقعة حدثت على شاطئ الفلوجة .

(١) فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ١٥٦ - ١٥٨ .

دخل ابن قحطبه حصن الكوفة دون قتال يوم الثلاثاء الرابع عشر من محرم عام ١٣٢هـ/٧٤٩م، ويدخوله صار ابو سلمه الخلال وزيرا نيابة عن العباسيين ومع ان اسم ابراهيم بن محمد امام الهاشمية كان الاسم الشائع للخلافة العباسية، غير ان وفاته دعت الى تعيين اخيه ابن العباس عبدالله بن محمد خلفا له^(١). وبذلك فان نجاح الدعوة العباسية بدخولها الكوفة وتسلم ابي العباس كرسي الخلافة جعل دعائم الدولة الاموية قد تتقوض بشكل نهائي لاسيما بعد ان تعقب العباسيون قلوب الجيش الاموي الهارب الى مصر . فكانت الثورة العباسية هي الضربة القاضية التي انتهت حكم الاسرة العربية الاموية التي اعتبتها الظروف والمشاكل السياسية والادارية والاجتماعية حتى صارت يوضع لتسطيع معه على الوقوف ازاء الجيش العباسي المتوجه نحو الكوفة او حتى الصمود امام تقدم هذا الجيش .

وبمقتل مروان بن محمد في ذي الحجة سنة ١٣٢هـ بمصر زالت دولة بني امية التي عمرت الف شهر ، هي قرابة احدى وتسعين سنة منذ ان تنازل الحسن ابن علي لمعاوية بن ابي سفيان عن الخلافة سنة ٤١هـ حتى مصرع مروان سنة ١٣٢هـ .

٤- التناقضات الاجتماعية

والمقصود بذلك ما واجهه البيت الاموي من تحد اجتماعي فرضته الظروف السياسية الادارية فالمعروف ان الخلافة الاموية بدأت في الاسرة السفيانية من البيت الاموي حتى مؤتمر الجابية الذي انعقد في سنة ٦٤هـ ، اذ نجح شيخ الاسرة المروانية من هذا البيت مروان الاول بن

(١) انظر مقالة Abbasids في دائرة المعارف الاسلامية فوزي ، فاروق صر : طبيعة الدعوة العباسية ، شعبان ، محمد عبد الحى : الثورة العباسية ص ٢٥٠-٢٥٦ الخربوطلي ، علي حسني : الدولة العربية الاسلامية (١٩٦٠) ص ٣٠٩-٣١٣ .

العباسيون : ينتسب العباسيون الى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المطلب بن قصي عم النبي (ص) وقد ولد قبل عام الفيل بثلاثة اعوام ، فهو يكنى المصطفى (ص) بثلاث سنين وكان يكنى ابا الفضل وكانت له السقاية وزمزم . دفعها اليه النبي (ص) يوم فتح مكة وكان يوم العقيقة مع النبي (ص) فعقد له على الاصغار . وقد اسلم العباس قبيل فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة . توفي العباس سنة ٢٢هـ بالمدينة وهو ابن (٨٩) سنة واشتهر من عقبة : عبد الله الذي عرف في التاريخ بابن عباس . وكان مولده في مكة قبل الهجرة بعامين او ثلاثة كان مفسرا قديرا ومحدثا لغة وفقيها وجنديا شجاعا توفي في الطائف سنة ٦٧هـ او ٦٨هـ . وكان قد نفاه عبد الله بن الزبير الى الطائف ايام خلافته ومن ابناءه (علي) وهو ابو الخلفاء من بني العباس ، ولد سنة ٤٠هـ وكان من اعبد الناس واحلمهم وقد ارتحل مع اسرته سنة ٩٥هـ الى قرية الحميمة بالقرب من الشراة جنوبي فلسطين ، اجلاء اليها الوليد بن عبد الملك وفيها ولد اكثر ابناءه ، توفي عام ١١٧هـ . وكان من ولده : محمد داود ، عيسى ، سليمان ، صالح ، وعبد الله ، وبيت الخلافة في عقب ولده الاكبر (محمد) . وبعد موت علي خلفه في زعامة الاسرة ولده محمد هذا الذي كان على جانب كبير من الذكاء السياسي وطموح النفس وهو والد ابراهيم الامام والسفاح اول الخلفاء بني العباس ، والمتصور ثانيهم .